



تنتابني صدمة معها مرارة وأناأتأمل في موقفنا من هذه الملحمة الكبرى التي لا تقل بحال من الأحوال عن ملاحم الإسلام العظيمى ك "القادسية" و"عين جالوت" و"حطين" وغيرها من مفاصل التاريخ التي غيرت مساره وحددت معالمه قروناً متتابعة، وأشعر أن هناك رغبة داخلية في نفوسنا للبحث عن كل سبب حقيقي أو متوهם للهروب دون الوقوف وقفه صدق مع "ملحمة الشام" في هذا العصر.

ليست هذه المرارة المُرّة لأجل مصاب إخواننا في الأرض المباركة مع عظم فجيعتها، لا، بل لأجل مصابنا نحن في أنفسنا، حين درست دروس العقيدة في الولاء والبراء ووجوب النصرة والذب عن الشريعة وأهلها ضد المارقين عنها، فبعنا أرض الأنبياء للرافضة الصفوية بثمن أبخس من البخس هو الدعة والراحة.

أما الشام، فقد تكفل الله بها وأهلها فلا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، في صحيح مسلم مرفوعاً: ((لا يزال أهل المغرب ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة)). قال الإمام أحمد: "أهل المغرب هم أهل الشام"، وثبت في سنن أبي داود قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق)). فقال ابن حوالة: "خر لي يا رسول الله. إن أدركت ذلك". فقال: ((عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى إليها خيرته من عباده، فإن الله توكل لي بالشام وأهله)).

ولا غرو فهي الأرض التي بارك الله فيها للعالمين؛ {وَتَجَيَّنَاهُ وَلُوطَأَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 71]. ومع أن الكل يدرك هول الحدث ومفصليته وأثره علينا ودنيا علينا وعلى الخليج بل والأمة بأركانها الأربعة، فإما أن يطفئ ماء البحي نار المجوس أو تحرق نار المجوس راية التوحيد - لا قدر الله -، ولا خيار إلا هذا أو ذاك، وكأني ألحظ ذاك في قول المصطفى الكريم - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم وهو يدعوه: ((اللهم إن تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ)), فويحأ ثم ويحأ لأرض الشام إن هلكت هذه العصابة من شبابها.

ومع علو صوت الأنين منا كصدى لأنين إخواننا في سوريا لكنه وقف عند ظاهرة الصوت لا أكثر، لأنين كأنين ذات الخدر يقطع القلب لكن لا يحمي زماراً ولا ينكرأ عدواً ولا ينزو عن عرض.

فهل هذا حقاً هو أقصى المستطاع؟!

ذكرت في مقال سابق بعنوان "هات رأسك أقبله ألفاً سماحة المفتى"، وهو مبثوث في الشبكة العنكبوتية، أنه من أشهر عدة كنت في حوار محتمم مع عدد العلماء والدعاة ورجال الأعمال وغيرهم لوزن ردة الفعل منا تجاه الملهمة الكبرى التي بدأت بوادرها ظاهرة على أرض الأنبياء بلاد الشام، وهل ردة الفعل هذه التي قمنا بها فيها قيام كافٍ بحق الله وحق دينه وحق سنته وأتباعه - صلٰى الله عليه وسلم - الذي استأمننا الله عليها جميعاً؟

وسأخص الحديث في هذا المقال عن العلماء والدعاة والمؤثرين لعل الله أن ييسر انبعاثهم بعد ثبوطهم وألا تكون ممن قال الله فيهم: {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثُهُمْ فَقَبَطَهُمْ وَقَبِيلٌ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التجوة: 46]، ولحساسية موقفهم وأثره في هذه الملهمة الكبرى، وقد تهألاً لهم ما لم يتهموا غيرهم وتحملوا ما لا يتحمله سواهم، فكان الخطاب لهم أولاً {فَلْ هُنَّ يَسْتَوْيَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر: 9].

المؤامرة الدولية:

نحن نتحدث كثيراً عن مؤامرة دولية وهذا ظاهر يراه الأعشى بل الأعمى ويكتفي تصريح وزير الخارجية الروسي لافروف الذي نشره موقع «روسيا اليوم» في يوم الجمعة 30/ ربيع الثاني 1433هـ - 23/ مارس 2012م، وشرح الموقف «العميق» والمشترك من الأزمة السورية بينهم وبين الجانبين الأوروبي والأميركي يقول بالنص مخاطباً محاوره: «أنت قلت إن موقفنا من سوريا يختلف عما يفكرون به في الغرب مثلاً. وأنت تعرف بالذات أنهم يفكرون هناك بشكل لا يختلف أبداً عما نورده في موقفنا. هناك يفكرون بالأسلوب ذاته بدقة تاماً. والاختلاف هائل بين ما يناقشوته بهدوء في سكون المكاتب وهيئات الأركان العامة، وبين ما يقال علينا في العواصم ذاتها...».

ثم يقول: «إن الصراع يدور في المنطقة كلها، وإذا سقط النظام الحالي في سوريا، فستتبثق رغبة قوية وتمارس ضغوط هائلة من جانب بعض بلدان المنطقة من أجل إقامة نظام سني في سوريا، ولا تراودني أي شكوك بهذا الصدد». فهذا الشرق والغرب بملادحته وبوزيبيه ومجوسه ويهوده ونصاراه قد أحاطوا بالأرض المباركة إحاطة الموج بالغريق، فقط حتى لا يتولاها نظام سني !!.

المؤامرة الداخلية:

نعم هناك مؤامرة دولية ضخمة تحاك حول أبطال الشام، ولكن هناك أيضاً مؤامرة داخلية في نفوسنا أعظم أثراً منها للبحث عن كل سبب حقيقي أو متوهם للهروب دون الوقف وقفه صدق مع "ملحمة الشام"، وأقول أعظم أثراً لأن الله - تعالى - يقول: {وَإِنْ تَصِرُّوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: 120]، وإنما أُوتينا لنقص الصبر والتقوى الحقة لا غير.

وعادة ما تكون حيلة الشيطان هذه تدور حول أسباب حاول جاهدين أن نختالها صحيحة، وليس هي كذلك من قبيل ولا دليل.

ففي السعودية مثلاً، مع صراحة موقفها السياسي والإنساني في قضية الشام، ومع قوة ردة فعلها تجاه ما يجري على يد طواغيت النظام، ومع تصريحات الفيصل بن الفيصل وموافقه المشكورة، ثم فتوى سماحة المفتى كشف الله عنه كل كرب في الدارين؛ ما زلنا نوهم النفس ونوثقها، تارة بتخويفها من سجن أو أذى، وتارة خوفاً على مكتسبات دينية ودعوية تذهب سدى، وهذا لا يستطيع أحد أن ينفيه، والتجارب السابقة أبان حرب أفغانستان ما زال صداتها في النفوس باقٍ لم يمح، ولكن المعطيات الآن مختلفة بشكل كبير، وال سعودية تدرك جيداً المخاطر الكبار لو قدر بعد هذا الصدام العنيف أن يستمر نظام بشار.

وهو أن ما نخشاه من دولتنا صحيح وعسى ألا يكون ذلك، وهذا هو المؤمل منهم وقد وقفوا هذه الوقفة المشهودة نصرة

لأحرار الشام، أقول هب أنه وقع ذلك، ألسنا نردد القاعدة المشهورة "دفع المضرة الكبرى بالصغرى"، فلمَ لا نجرؤ على إعمالها هنا؟

والكل يدرك أن مفسدة انكسار أجناد الشام في هذه الملحمة العظمى لا تدانيه أي مفسدة أخرى من ضرر يمس بدننا أو دعوه. ومن العجب أن يغيب عن علماء السنة ذلك ولم يغب عن سدنة النار في إيران، الذين دعموا النظام النصيري ولم يلتقطوا للتباعات التي ستنالهم مع كبرها، ولا يخفى موقف حسن نصر الله مع إدراكه لعظم الخسارة التي ستنال صورته لدى الشعوب العربية، وقد بذل من الأموال والجهد والمكر الكبار لتزويقها وتسويقها، لكنه ضحى بكل ذلك في مقابل المحافظة على مكاسب الرافضة في أرض الشام.

وفي خطبة نارية لأحد أبرز مراجع الشيعة في إيران قال أحمد جنتي - عضو "مجلس الخبراء" الإيراني - خلال خطبة الجمعة في طهران: "على الشيعة العرب الدخول إلى سوريا والجهاد إلى جوار النظام السوري حتى لا تقع سوريا بأيدي أعداء آل البيت".

مع أنهم يدركون الخسارة الكبرى التي تنالهم من مثل هذه التصريحات، وأعني بذلك انحسار مد تصديرهم لثورتهم الخمينية انحساراً هائلاً في العالم العربي.

وحين تنظر في موقف علماء أهل السنة في مصرٍ آخر، وهي أرض الكنانة، فقد انشغل علماؤهم وعامتهم بأنفسهم ومصرهم وكأنهم ينتظرون صوتاً كصوت ابن تيمية يصرخ فيهم: "إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله والذب عنهم، فإن الله - تعالى - يقيم لهم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم". وتلا قوله - تعالى - : {وَإِن تَتَوَلُوا يَسْتَبِدُّ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38]، وقوله - تعالى - : {إِلَّا تَنْفِرُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِدُّ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} [التوبه: 39].

هذا موقف شيخ الإسلام في أوائل القرن الثامن، مما موقف شيوخ الإسلام في أوائل القرن الخامس عشر؟!

معطيات غاية في الأهمية:

تباحثت مع عدد من أهل الحكم والحنكة من إخواننا السوريين ثم عقدنا ورش عمل متتابعة ثم عرضت النتائج على جهات أخرى مغایرة للأولين، وكان في كل هؤلاء الشرعي والسياسي والعسكري وصاحب الرأي، فألفيتهم يلتكون على مورد متقارب ويصدرون برأي يشبه بعضه بعضاً، وها أنا أضعه بين يدي أهل العزائم لعله أن يسهم في تعجيل الخلاص وسرعة الفرج - بإذن الله -، وقد عنونت لها ليتضح مقصودها ولا يلتبس:

#### 1- إسقاط نظام الأسد فريضة الزمن:

الشام وأهلها ما زالوا على مدار التاريخ هم زينة الإسلام وأهله وحصن الإيمان وجنته، ويكفي فيهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((كن مع جند الشام، إن الله تكفل لي بالشام وأهله))، وما زالت كذلك حتى انسحبت القوات التركية من سورية بعد الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، ومن ذلك الحين وحتى هذا الحين 2012م وهي ترزح تحت أبشع محاولات غسيل العقيدة والأخلاق والهوية والانتماء، وحين جرى عقد صفقة بيع بلاد المسلمين للرافضة الصفوية بين الغرب وإيران في أوائل القرن الهجري الجديد وأواسط الثمانينات الميلادية من القرن الماضي من أجل تقسيم العالم الإسلامي وإضعافه، كانت العراق وسوريا ولبنان من الدول التي تم بيعها للرافضة الإيرانية، سقطت العراق ولبنان وترنحت سوريا لكنها أفاقت على وقع تكبيرات أشبال درعا، لتعيد الأمل بعودة الشام ومنه لبنان إلى حياض السنة.

لقد هيأ لنا شباب سوريا فرصة يندر مثلاها، إن بادرناها فلنا ولهم، وإن فاتت فات معها حظنا يا معاشر أهل هذا الزمان، إن عودة سوريا لتبؤ مكانتها كما كانت في التاريخ يعني شيئاً: قطع يد المجروس وخنق عنق اليهود، وأكرم بذلك من مغنم.

#### 2- أفضل آليات إسقاط النظام:

لا تخلو مجمل السيناريوهات الجادة المرسومة لإسقاط بشار و زبانيته من احتمالات ثلاث:

أ- تخلٰي الدول الحليفة عنه ثم تحرك حلف النيل تحت أي غطاء يبررون به التدخل.

ب- انقسامات داخل الأجهزة الأمنية المحيطة بالنظام تقضي عليه.

ت- ازدياد قوة المقاومة المسلحة في الداخل خصوصاً في دمشق، فاضطراب العاصمة سيجبر العالم على التحرك للمساهمة في سقوط بشار، خوفاً لا يجدوا لهم مكاناً في سوريا ما بعد الثورة.

وهذا أفضل السيناريوهات لمن تأمل، فالأول والثاني لا نملکهما، بل وليسما هما الخيار الأفضل لنا لرسم ما بعد الثورة، بينما الثالث وإن كان أصعبها لكنه أفضليها وأكثرها تحقيقاً للمصلحة، لكنه يحتاج إلى عاملين مهمين:

العامل الأول: التركيز في تحديد الهدف المفصلي الدقيق مكاناً ونوعاً، والذي يناسب قلة الإمكانيات لدى المقاومة.

العامل الثاني: تضييق الجهد لتحقيق هذا الهدف حتى لا تتشتت فتضييق، فالآدوات لدينا ليست كبيرة، والمهمة شاقة عسيرة، لكنها بعون الله ثم بالرُّكُّ على مفصلٍ واحد متحققة.

و هنا أخص بعض ما يجب على العلماء والداعية فعله تجاه هذا الحدث التاريخي الكبير:

أولاً: عقد ورش عمل متواصلة تستمر ساعات متواصلة في عصافير ذهني وعصر قلبي لتدارس ما يمكننا فعله للقيام بهذا الفرض الكفائي العظيم، وينبغي ألا نكتفي بنتائج عقول غيرنا لأن لكل واحد منا ما يميزه، والمعطيات قد تتبادر بين عالم وآخر، والعوائق أيضاً كذلك، فمن فوائد هذا العصف الذهني معرفة مواطن القوة لدينا والضعف لدى عدونا، فمن السنن الثابتة أن لكل فرد أو منظمة بلا استثناء نقاط قوة ونقاط ضعف يمكن من خلالها إنهاصها أو إسقاطها، والعقلاء على مر التاريخ يفحصون أنفسهم وما حولهم كفحص الطبيب الرفيق لمريضه يتلمسون مواطن الخلاص وأسرع سبل العلاج وأنفعها، والأحداث في شامنا تستدعي جسماً ثم حساً كما في المثل المشهور "الخياط الماهر هو الذي يقيس عشر مرات ثم يقص مرة واحدة!"، وفوق ذلك قول الحق - سبحانه - : {وَشَوَّرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

ثانياً: تحديد الهدف الذي تريده من خلاله نصرة الشام بشكل دقيق، بحيث يعلم في خاتمة كل أسبوع هل حققه أو جزءاً منه، أو رجعنا إلى طريقتنا الأولى في الكلام دون فعال، ولا بدّ هنا من جهة رقابية مسؤولة عن معرفة هل تحقق الهدف أم لا؟ حتى لا تأكلنا الأيام بالتسويف أو تشبعنا الأماني والآحالم دون حقائق.

ثالثاً: تحديد مجالات النصرة التي يستطيعها كل منا، و مجالاته بصفة عامة كثيرة، ويكتفي أن نأخذ بواحد أو اثنين منها، ومن أهمها أربعة:

أ- الدعم العلمي: من خلال بيان أحكام الجهاد وشروطه وآدابه، فأجناد الشام بحاجة ماسةٍ إليها في هذا الوقت بالذات، وقد حصل من التعدي والظلم بسبب الجهل بأحكام الجهاد شيئاً ليس بالقليل.

ب- الدعم بالسلاح المقنن، وتفاصيل هذا الأمر في مقال للأخ المجاهد من أجناد الشام/ جهاد الأحمد بعنوان "كيف نسقط بشار ونظامه بأيديينا؟".

وقد سبق أن المقصود هي "دمشق" لا غير.

ج- الدعم الإغاثي: وله وسائله الكثيرة، ومن أجود وأوثق طرقه "هيئة الشام الإسلامية" و"جمعية إحياء التراث الكويتي" و"جمعية عيد آل ثاني القطرية" وغيرها الكثير خصوصاً في الشقيقة الكويت، ومن أراد دلالته على شيء من ذلك ففيه ألا.

د- الدعم الإعلامي: وهو بابٌ واسع، والمجاهدة بالصورة أضحت الآن أهم من القتال بالنفس، وأثرها أعظم من أثره، وأهمية الإعلام في المعركة ونقل الصورة المباشرة وفضح الجرائم وتصميم الفلاشات والبنرات واستخدام الإعلام الجديد لا تخفي أهميته بل ضرورته، وكل يدلي فيه بما يستطيع، والمقصود تحقيق قول الحق - سبحانه - : {وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بِأَسْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسًا وَأَشَدُ تَنْكِيلًا}.

ومن المهم في هذه المرحلة التركيز على ما يبعث الفأل ويطرد اليأس من نفوس المجاهدين وسائر الأمة.

وال المجالات كما سبق لا تنحصر، وكل منا أعرف بنفسه: أين يمكن أن تكون نصرته؟ وما مقدارها؟ وما السبيل إلى تحقيقها؟  
رابعاً: التواصل مع كل الأطراف ذات العلاقة، خصوصاً المؤثرة منها؛ كالجهات الرسمية الداخلية منها والخارجية لمد الجسور معها ومعرفة وجهة نظرها، خصوصاً أن مواقف أغلبها خصوصاً السعودية وقطر والكويت يعتبر مشرفاً ومتقدماً جداً.

وهذا التواصل مع الجهات الرسمية يسهم في التقليل من مخاوف الناس وكسر حاجز الخوف دونهم، لأنك سامع ولا شك من المسؤول ما يطمئن فحين تنقله للناس يزول ما بقي من درن الخوف الذي لا مبرر له، وهذا م التجربة ونفع الله به كثيراً المسؤولين والناس كلها.

وأيضاً زيارة هيئة كبار العلماء وما يشابهها في المملكة ومصر.  
والمنظمات الحقوقية ذات المصداقية منها العربية والأجنبية.

زيارة هذه المؤسسات والباحث معها مفيد على الصعيدين النظري والعملي.

وكذا زيارة مخيمات السوريين اللاجئين في تركيا ولبنان والأردن له أثر في إحياء النفوس وبعث ما اندرس من الهم،  
والوقوف على عظم الخطاب برأي العين، فليس من رأى كمن سمع!!.

وهو لاء من إخواننا اللاجئين خصوصاً الشيوخ والنساء والأطفال - فلديهم شغف بالذكر. هم بأمس الحاجة للعلم النافع  
وحلق حفظ وتذكرة القرآن والسنة ك حاجتهم للطعام والشراب والدواء واللباس أو أشد.

خامساً: التعرف على الثقات الصادقين من سوريا في الداخل والخارج أفراداً ومؤسسات، ثم بعد التأكد منها القيام بتزكيتهم  
بالطرق المناسبة، وهذا مهم جداً لأن الناس يريدون الدعم لكن لم يجدوا السبيل الذي يطمئنون إليه في إيصال دعمهم  
لإخوانهم داخل سوريا، فإذا قمنا نحن بالتحري عنهم وعرفنا صدقهم ثم زكيتاهم فقد يسرنا سبيل الدعم وقطعنا الطريق أمام  
المشككين والسارقين أيضاً.

وقد نشرت سابقاً رقم الأبيان لجمعية إحياء التراث في الكويت، وهو موجود في موقع كثيرة على الانترنت، وهذه حسابات  
أخرى زكتها "هيئة الشام الإسلامية"، وهي من خيرة المؤسسات العاملة في هذا المجال ويقوم عليها ثلاثة من العلماء العاملين  
الموثوقين، وهي أيضاً مؤسسات معروفة سابقاً:

حسابات التبرع لصالح سوريا

ختاماً.. يا معاشر العلماء:

هذه مجرد إشارات، والواجب أكبر من أن يخطه القلم في وريقات، والحمل عليكم عسير والأمل فيكم كبير، ولهذه الملحمة  
الكبرى ما بعدها دنيا وأخرى، فأعدوا للسؤال جواباً وللجواب صواباً.  
أسأل الله ألا يكلنا لأنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأن يعجل بالفرج، ويحقق الآمال، ويتولى بلاد الشام والمسلمين بعينه  
التي لا تنام.

المصدر: موقع المسلم

المصادر: